تحولات النسق القيمي في ظل سيولة العوالم الافتراضية: مقاربة نقدية.

Transformations the value system in light of the Fluidity of virtual worlds: a critical approach.

Transformations du système de valeurs à la lumière de Fluidité des mondes virtuels : une approche critique.

العبدي خيرة[1] *

تاريخ الإرسال: 2022/02/10 تاريخ القبول: 2023/02/23 تاريخ النشر: 2023/12/15

ملخص:

تهدف هذه المقالة إلى تقديم مقاربة نقدية تحليلية لتحولات النسق القيمي في ظل السيولة التي تشكلها العوالم الافتراضية؛ هذه الأخيرة التي تمثل بيئات رمزية مؤطرة للتفاعل المعاصر؛ ضمن سياقات التحرر من القيود والضوابط الاجتماعية، التي ساهمت في إذابة وتمييع المعاني والسلوكيات، وتفكيك العلاقات الاجتماعية والروابط الإنسانية، وتحييد القيم والأخلاق، وهو ما أنتج نماذج سلوكية مستحدثة، وقيما مادية ومعنوية مصطنعة ضمن معطيات حياة الأفراد اليومية؛ مهددة كيان المجتمع وتماسكه، وقد ساهمت هذه الممارسات في هيكلة جديدة للقيم وصراعها المستمر، وترسيخ مفاهيم متناقضة مع المرجعيات الأصلية، منصهرة في بوتقة الفضاء المعولم، مما أدى إلى طغيان القيم الفردانية وتنامي النزعات الاستهلاكية وتآكل قيم الخصوصية، وبروز مظاهر الاغتراب والتشيؤ، وخلخلة العلاقات الإنسانية نتيجة قيم التحرر والانفلات القيمي، ونمذجة السلوكيات وتنميط أساليب العيش بما يتناسب مع معطيات العوالم الافتراضية.

الكلمات المفتاحية: القيم؛ النسق القيمي؛ سيولة العوالم الافتراضية؛ السلوكيات؛ الأخلاق.

Abstract :

This article aims to provide a critical and analytical approach to the Transformations of value system change in the light of the Fluidity formed by virtual worlds, which represent symbolic environments contemporary interaction; In contexts of liberation from social restrictions and controls, Which contributed to the dismantling of meaning and behavior, the dismantling of social relations and human links, and the undermining of values and ethic, which have produced new models of behavior and artificial material and moral values in the life of individuals, These practices have contributed to a new structuring of values, and create concepts contradictory with the original Ingredients, by becoming integrated into the crucible of globalized space, What has contributed to the rise of individual values and Consumerism In addition to eroding privacy values, The emergence of manifestations of alienation, and The disruption of human relations under the effect of values of ethic liberation, and the modeling of behaviors and lifestyles to adapt to virtual worlds.

Keywords : Value; value system; Fluidity of virtual worlds; behaviours; ethic

Résumé :

Cet article vise à Donner une approche critique et analytique des du changement système de valeurs à la lumière de la Fluidité formée par les mondes virtuels ; Ces derniers, qui représentent des environnements symboliques l'interaction contemporaine; Dans les contextes de libération des restrictions et des contrôles sociaux, qui ont été représentés dans la Dissolution des significations et des comportements, le démantèlement des relations sociales et des liens humains, et la neutralisation des valeurs et de la morale, qui ont produit de nouveaux modèles de comportement et des valeurs matérielles et morales artificielles dans les quotidien des individus, Ces pratiques ont contribué à une nouvelle structuration des valeurs, et créer des concepts contradictoires avec les références originelles, en S'intégrer dans le creuset de l'espace globalisé, Ce qui a contribué à l'essor des valeurs individuelles, Le consumérisme et L'érosion des valeurs de et confidentialité et manifestations d'aliénation et La perturbation des relations humaines sous l'effet des valeurs de libération morale, et la modélisation des comportements et des modes de vie pour s'adapter aux mondes virtuels.

Mots clés : Valeur; système de valeurs; Fluidité des mondes virtuels ; comportements; ethic .

*المؤلف المراسل

[1] Kheira Labdi, University Oran 1 -Ahmed Ben Bella - Algeria, khaira.labdi31@gmail.com

مقدمة

تمثل سيولة العوالم الافتراضية موضوعا مهما في ظل ما يشهده عصرنا الراهن من تغيرات كبرى في الأفكار والقيم والاتجاهات، فكلمة السيولة التي استعرناها من عالم الاجتماع البولندي (**زيجمونت باومان– Zygmunt Bauman**) تحيل إلى حالة مستمرة من إذابة وتمييع المؤسسات الاجتماعية التقليدية وضعف العلاقات الإنسانية، وهشاشة الروابط الاجتماعية، وضمور الأخلاق وتصدع السقف الرمزي والمعنوي لمنظومة القيم والأفعال وجعلها محايدة من التقييم واللوم الأخلاقي، من خلال استمرارية العيش في سياق النشاطات التفاعلية، التي أسست ضمن الفضاءات البديلة والتفاعلات الكونية تغيرات شكلت عاملا مهما في صياغة الحياة اليومية وإنتاج مفرداتها، مما ساهم في زوال القيم وتحولها واستبدالها بأخرى، حيث تظهر المجموعات البشرية أثناء احتكاكها بالتكنولوجيات الرقمية مجموعة من الممارسات والعادات والسلوكيات الجديدة التي تفتقر للمرجعية، نتيجة النفاذ الواسع والاستخدام السلبي للمضامين الرقمية، مما أفقد الكثير من بديهيات المعايير والقيم، قيمتها ومعناها الحقيقي، فتغير النسق القيمي، واهتزت فعالياته في عصر السيلان والذوبان العالمي، وصارت القيم مستعارة فاقدة للثبات والصلابة، خاضعة لتحور وقولبة مستمرة.

في ظل ذلك تصاعدت حدة الصراع في موضوع القيم، وتسارعت بشكل لافت تمظهرات هذا الصراع بالنظر لحجم التحولات التي طالت أشكال التواصل في مجتمعاتنا المعاصرة، فأضحت البيئة الافتراضية اليوم أحد المجالات السائلة التي تهيكل لقيم وثقافات وهويات جديدة، فهي من تصنع وتنتج وتدفع للاستهلاك والاستخدام اللامتناهي، من خلال إعادة إنتاج القيم الدخيلة والأشكال الجديدة من السلوكيات الفردية المنمطة والمعممة، ولا بد من الاعتراف بوجود تحولات قيمية نتيجة التفاعلات والعلاقات المحكومة بالعوالم الافتراضية التي تؤدي إلى إحداث تفكك في مرجعية القيم الأخلاقية، بسبب مصادر جديدة لإنتاج القيم وتوزيعها، وبروز مفاهيم دخيلة ألقت بضلالها على الحياة، وقلصت بعضا من أسسها ومظاهر حيويتها، وهذا التفكك المادي والمعنوي الذي ساهمت فيه بصفة كبيرة الممارسات الافتراضية؛ نتج عنه إحداث انقلاب قيمي وأخلاقي وتغير في أساليب التربية والتنشئة الاجتماعية.

بالتالي نرى التغيير المفصلي في هندسة القيم الذي تعزز نتيجة تنامي جاذبية الفضاء الافتراضي في الوقت الراهن، واستحواذه على مفردات الحياة الإنسانية وأشكالها، فأصبح الفرد يتغذى على الثقافات الالكترونية السائلة، ويكتسب سلوكياته وعاداته وقيمه من إفرازاتها التي تحاول اختراق المنظومة الرمزية والفكرية، مستهدفة محو القيم والمقومات الأخلاقية التي تميز المجتمعات، فتقاطعت ضمن سياقات هذا الفضاء التصورات والرؤى والمفاهيم؛ نتيجة التيارات الوافدة التي أصبحت تهدد منظومة القيم والتي نجحت في تحويل (كل أو بعض منها) من قيم تقليدية تستمد مقوماتها من مرجعية لها تقاليدها وعاداتها وخصوصياتها، إلى قيم جديدة ليس لها مرجعية محددة؛ تفتقد للضوابط والقيود في عالم من الحرية والتحرر اللامحدود، وشحن المشاعر بمتطلبات وغايات مزيفة، وبروز مظاهر وممارسات دخيلة، وأفكار تفتقر للمعيار القيمي مغايرة لكل ما هو واقعي، نتيجة الانصراف إلى معايشة العوالم الافتراضية؛ مما أثر على مفاصل الحياة اليومية.

بذلك اجتاحت العوالم الافتراضية بمعالمها الجديدة مجتمعاتنا، وشكلت سياقاتها الالكترونية واقعا جديدا يصعب رسم حدوده وضبط معاييره وتحديد ملامحه وتجلياته، وما ضاعف من هذا التمدد انغماس الحياة اليومية للأفراد في الفضاء الافتراضي كبديل للواقع المعاش، وخلق ضمن بيئاته المصطنعة عوالم من الوهم والسعادة الآنية الزائلة، عملت على تفكيك العلاقات الفيزيائية، وتفتيت الوعاء الوجودي للأفراد، وخلقت هوس التباعد والانفصال عن الآخر الحقيقي والالتصاق بالآخر الافتراضي، مما أدى إلى خلخلة العلاقات الإنسانية.

إشكالية الدراسة.

أتاح العصر المعولم فرصا عديدة للأفراد للتأسيس لمنطق جديد من التواصل والتفاعل، وبناء العلاقات الاجتماعية، وتبادل الخبرات والتجارب الحياتية؛ في ظل فضاءات افتراضية بديلة، كان لها بالغ الأثر في تغيير أساليب الحياة الإنسانية، وخارطة البناء الاجتماعي من خلال هيكلة جديدة للقيم، وبروز أنماط تواصلية رمزية جسدت السياق التفاعلي الذي يندمج فيه الفرد باستمرار، بل وينغمس فيه عبر إنشاء علاقات اجتماعية افتراضية تتجاوز الحدود الزمانية والمكانية، فطرحت البيئة الافتراضية تساؤلات عميقة عن علاقتها بالذات وبالمجتمع، نظرا لما أحدثته من تغيرات جوهرية في نمط العيش، وسيطرة الواقع الافتراضي بشكل حتمي على مجريات الحياة اليومية لجل الأفراد، مما أدى إلى اغترابهم وعزلتهم عن بعضهم البعض، وتعزيز الفردانية والنزعة الاستهلاكية في صميم علاقاتهم، ففصلت البيئة الافتراضية بتجلياتها المبهرة ذلك الحيز الوجودي والمادي للفرد، وجعلته يعيش وسط حيز افتراضي خاص به، ويوجه كل عواطفه وفكره وتركيزه اتجاه مضامينه السائلة، فظهرت معطيات جديدة شكلت منطلق الصراع والتناقض بين المنظومة القيمية، وبين تمظهرات معولمة ألقت بظلالها على الحياة، وخلقت تبعا لذلك واقعا جديدا تغيرت فيه القضايا والأدوار التقليدية والحضور الاجتماعي.

أثارت بذلك العوالم الافتراضية إشكالية تفكيك المؤسسة وانحسار النسق القيمي، وتنامي أشكال الفظاظة، والسلوكيات الجانحة وافتقاد الأمان، وانتصار المعايير الاستهلاكية، والاستخفاف بالعادات والتقاليد السائدة وتراجعها واستبدالها بأخرى؛ ما تلبث أن تنهار، ويظهر زيفها أمام تداعي الأزمات الاجتماعية، وازدياد مشكلات الإنسان المعاصر، وشعوره بالاغتراب والانفصام عن الواقع، وانفصاله عن قيمه ومبادئه وأخلاقياته، فنجد أن المواقع الاجتماعية ذلك العالم من الصلات العابرة، كان لها الفضل في إغراء وجذب الملايين من المستخدمين لقضاء وقت كبير من يومهم على امتداداتها الافتراضية، مما أدى إلى تزايد عنف إيقاع الحياة الافتراضية؛ عبر طمس الحدود بين الواقعي والمتخيل، وممارسة نوع من الهروب من القيود والضوابط المفروضة اجتماعيا، باتجاه البحث عن بدائل مفتوحة لحالة الانغلاق والملل وثقل الواقع التي يعيشها الإنسان، حيث يتزايد الانغماس الحضوري في البيئات الافتراضية، والتفاعل اليومي مع الأحداث المصطنعة، وشحن المشاعر بمتطلبات وغايات مزيفة.

بناء على ما سبقت الإشارة إليه من افتراضات لواقع القيم المنتجة من طبيعة الممارسات المشتركة للأفراد في ظل سيولة العوالم الافتراضية، وبروز مزيج من التحولات في مرجعية النسق القيمي الذي خلق ضغوطات شديدة على المستوى الاجتماعي والفردي، نطرح تساؤلات الدراسة التالية:

1. **ما هي تجليات تحولات النسق القيمي في ظل معطيات البيئة الافتراضية ؟.**

2. ما هي القيم المستحدثة التي أفرزتها سيولة العوالم الافتراضية من منظورات نقدية؟.

أهداف الدراسة.

تهدف هذه الدراسة إلى معالجة موضوع القيم في مجتمعنا المعاصر؛ من خلال تقديم مقاربة نقدية تحليلية تفسر التأثيرات الاجتماعية والأخلاقية للعوالم الافتراضية، وتناول واقع القيم من منظور سوسيواتصالي، عبر مناقشة مختلف الأدبيات والدراسات التي عالجت تراجع النسق القيمي والأطر المرجعية في ظل التحولات الراهنة.

تهدف الدراسة إلى الكشف عن أزمة القيم في ضوء معطيات تحليلية لتجليات تغير النسق القيمي في ظل بيئة افتراضية سائلة؛ ساهمت في إفراز حالة من الاضطراب والتشويش وغياب المعنى.

كما تسعى الدراسة إلى تحديد مجموعة القيم الدخيلة، الهجينة، والمستحدثة التي أفرزتها الفضاءات الافتراضية أو عززت من حضورها، والتي أصبحت معممة في الواقع بكل بدائلها الجديدة التي خلقت اليومي ونوعت من مظاهره؛ وأسست لمختلف السلوكيات الفردية المعممة، جعلت الذات تحتفي بها وتغير علاقاتها مع الآخر.

1. هيكلة جديدة للقيم في ظل معطيات العالم الافتراضي الرمزي.

إن أهمية دراسة القيم تنبع من جوهرها الوظيفي القائم على تقديم نظرة تقويمية دائمة إلى الواقع والمحيط الاجتماعي العام؛ الذي يعيش فيه الإنسان، فقد كانت القيم ولا زالت موضوع تساءل وبحث عميق من قبل المفكرين والدارسين لتفسيرها وتأويلها، ومعرفة خصائصها وصفاتها وأنواعها وتصنيفاتها، وفاعليتها كباعث في تشكيل السلوك الخلاق، وتكوين الثقافة، وتأكيد الروابط الإنسانية، وإعطاء معنى للعلاقات الاجتماعية.

ولعل مقاربة موضوع القيم في الوقت الراهن أخذ منحى جديدا يلاءم المعطيات الكونية الجديدة، وهو مؤشر عن التحولات العميقة التي تعيشها المجتمعات المعاصرة اليوم الخاضعة للتأثير المزدوج لعالم معولم من جهة، وبيئة افتراضية رمزية فرضت نفسها على مجمل أنشطة الحياة اليومية من جهة أخرى، والتي أدت إلى تحول قيمي ساهم بشكل واضح في خلق فجوة سلوكية وذهنية تفصل بين الأجيال، وهي ليست نزوات فردية أو جموحات شخصية بقدر ما هي انعكاس للتغيرات التي داهمت المجتمع؛ أي للشروط الجديدة التي يجد الأفراد أنفسهم ضمنها، ومن ثمة فإن أي تناول دقيق لتحولات القيم في المجتمع هو في طور الانتقال العنيف والمتسارع نحو الحداثة؛ يتعين أن ينطلق من فهم التحولات البنيوية الكبرى، ودورها في تكييف السلوكيات والتصورات والقيم، لأن المجتمعات تعيش نوعا من التشتت والتشرذم والاغتراب القيمي، وتحولات عميقة أمام السير في اتجاه التيار الجارف من قيم الحداثة والعصرنة (أقراد، 2021، صفحة 635).

نحن اليوم أمام حجم انهيار الخصوصيات المحلية والأنا؛ بقدر تزايد حجم الانفتاح عل العموميات والآخر، والمحاولة الدءوبة في تغيير خارطة العالم، وفسح المجال أمام صعود وهبوط مستوى القيم المجتمعية، والعادات والتقاليد الموروثة لصالح عادات وقيم أخلاقية جديدة مكتسبة؛ بدت غريبة وبعيدة عن أصولها وفضاءنا الاجتماعي؛ في ظل مساحة حرة من الإمكانات المفتوحة دوما على المجهول واللامتوقع، على نحو يتيح نسيج من علاقات عديدة مع الواقع يتغير معها نظام المعنى ومنظومات التواصل والممارسة (غازي، 2010، الصفحات 15-35) فأصبح التفكيك السمة البارزة لمظاهر ما

بعد العولمة؛ تفكيك العقل لكي تتعطل فاعليته في التفكير، وتفكيك القيم كي لا تكون حاجزا أمام تحقيق المصالح الشخصية والغرائز البشرية، وتفكيك النظام الاجتماعي حتى يمكن تمرير الأفكار الهجينة، والنزوع المتزايد إلى الاقتصاد الكوني، وإعادة هيكلة القيم والمعايير عل المستوى العالمي، وزيادة حدة الاستهلاك، وكما تقول (**ويندي براون– Wendy Brown**) أن البشر مشكلون بالكامل اليوم ليكونوا كائنات اقتصادية، وأن جميع أبعاد الحياة البشرية مشكلة وفق عقلانية السوق (كازدين، زيمان، 2016، صفحة 68).

ومن الإشكاليات الأخلاقية والقيمية التي حملتها البيئة الافتراضية؛ أنها تفصل الأفراد عن واقعهم المعاش، وتحاول أن تفرض عليهم ثقافة إلكترونية تستهدف إغراق المجتمع بمحتويات سطحية جذابة، تخاطب العاطفة لا العقل لتحقيق أهدافها، وتسعى للسيطرة على مفاصل الحياة اليومية للأفراد وتعزيز عزلتهم واغترابهم، من خلال تنميط عاداتهم وأذواقهم وتصرفاتهم وأساليب معيشتهم، ودفعهم نحو الجري وراء أهداف بعيدة عن الواقع، وإقامة علاقات وهمية مع الآخر الافتراضي، والتنصل من المسؤوليات الأسرية والمجتمعية، وتحقيق سعادة غير حقيقية لحظية، يعقبها اكتئاب شديد لاحق، وهي تجليات أولية لتعطيل الحياة الاجتماعية المتأثرة بالنزعة الاستهلاكية التي حملتها العولمة والفضاءات البديلة.

1.1. القيم ودلالات المعنى.

يعد مفهوم القيم من أكثر المفاهيم الاجتماعية التباسا وغموضا؛ نظرا لارتباطها العميق بعدد كبير من المفاهيم الأخرى: كالأخلاق، المعايير، الضوابط، العادات، التقاليد، الاتجاهات، ولهذا فهي تمثل أحد أهم المفاهيم المعقدة في الظاهرة الاجتماعية؛ كما أنها في العصر الحالي أصبحت لصيقة بمفاهيم: كالتغيير، الأزمة، الثورة، الإزاحة، التهجين، نتيجة التحولات المستمرة في البيئة الاجتماعية، والانفتاح على الثقافات ومختلف العوامل الإعلامية والتكنولوجية.

تعتبر القيم من المفاهيم الجوهرية في جميع ميادين الحياة، وهي تمس العلاقات الإنسانية بكافة صورها، وتشكل ضرورة اجتماعية تتغلغل بشكل اتجاهات ودوافع وتطلعات لدى الأفراد، وتظهر في السلوك الظاهري الشعوري واللاشعوري لديهم، وتتضح أهميتها في جوهر تفاعل الفرد مع البيئة الاجتماعية في العديد من المواقف، وهي جزء هام في الإطار المرجعي للسلوك في الحياة العامة ومجالاتها المختلفة، وتمارس دورا هاما كموجهة للسلوكيات ومنظمة للحياة الاجتماعية التي تضمن أهدافها ومثلها العليا، وتعمل على تقويم النشاطات والعلاقات، فإذا تضاربت القيم ولم تتضح معالمها فإنه سرعان ما يحدث صراع قيمي يدفع النظم الاجتماعية إلى التفكك والانهيار (الفتاح، 2001، الصفحات 10-11)، حيث يمثل هذا الصراع حالة لتعارض وتضارب القيم مع نسقها الاجتماعي العام.

تمثل القيم مجموعة من الأحكام المعيارية المتصلة بمضامين واقعية، يتشربها الفرد من خلال انفعاله وتفاعله مع المواقف والخبرات المختلفة، ويشترط أن تنال قبولا من جماعة اجتماعية معينة؛ حتى تتجسد في سياقات الفرد وسلوكه واتجاهاته ومعتقداته، وهي محصلة تفاعل الإنسان بإمكاناته الشخصية مع متغيرات اجتماعية وثقافية معينة، لذلك فإنها محدد أساسي من المحددات الثقافية، وهي تصورات عامة لكل ما هو مرغوب فيه على مستوى أكثر عمومية، ويؤكد (**تالكوت بارسونز – Talcott Parsons**) أن القيم "عنصر لنسق رمزي مشترك يعتبر معيارا أو مستوى للاختيار بين بدائل التوجيه

التي تظهر في المواقف المختلفة، وهي تمثل محورا من محاور واقعية السلوك، وتمثل أنماطا ثقافية شاملة ذات جذور في التقاليد الدينية، وهي بذلك تظل محافظة على استقرارها" (الفتاح، 2001، الصفحات 11-13).

تعرف القيم على أنها تلك المعتقدات التي نتمسك بها بالنسبة لتوعية السلوك المفضل، وتحديد معنى الوجود وغاياته، فهي تشكل مصدرا للمقاييس والمعايير والوسائل والأهداف، وأشكال التصرف المرغوبة التي تعنى بتنظيم العلاقات الاجتماعية، وتدعوا للامتثال، وتسوغ الواقع أو تحرض على تغييره، وتتنوع القيم بسبب تعدد مصادرها وتوجهاتها ومراميها، فقد تتكامل فيما بينها أو تتناقض وتتغير بتغير الأحوال والعلاقات، ومن القيم تستمد المعايير والأعراف والعادات والتقاليد المتبعة في المجتمع، ونجد أن القيم كثيرا ما تستمد من واقع البيئة الاجتماعية ومن مؤسسات العائلة والدين بالإضافة إلى أنماط المعيشة، وهناك من يتعامل مع القيم الاجتماعية على أنها نسبية في طبيعتها؛ بمعنى أنها تختلف من حضارة إلى أخرى، وضمن كل مجتمع وثقافة باختلاف جماعاته وطبقاته وتباين أنماط المعيشة والأزمنة (بركات، المجتمع العربي في القرن العشرين: بحث في تغير الأحوال والعلاقات، 2000، الصفحات 637-681)

يتبين أن القيم ذات معان حساسة في أذهان الأفراد في المجتمعات أو الجماعات، توحد بينهم من جهة وتميزهم عن غيرهم من الأفراد من جهة ثانية، والقيم ذات طبيعة معيارية تختلف باختلاف الجماعات والنظم السائدة فيها، وهي تعكس معايير السلوك أو مُثُلَ السلوك، ليس بالمعنى الفلسفي بل بالمعنى الاجتماعي الذي تعبر عنه الفضيلة الاجتماعية القائمة على أداء الفرد لواجبه، واحترام ممارسات مجتمعه وعاداته، ونظرا لكثرة القيم وتنوعها تصبح مجالا للاختيار، سواء القيم المادية أو المعنوية؛ هذه الأخيرة هي قيم روحية مستبصرة بالعقل، وذات تأثير داخلي شعوري، يثير انفعالات منتظمة تصبح عواطف قوية في صورة مفاهيم ذات معان تجذب الإنسان إليها، وتجعله يتمسك ويهتدي بها في حياته الاجتماعية وعلاقاته مع الناس، بالتالي فإن أنساق القيم عبارة عن مؤشرات كامنة في وعي الأفراد تهديهم لحياتهم وسعادتهم، حيث تتصدر أنساق القيم في أية ثقافة معالمها البارزة (الساعاتي، 1988، الصفحات 100-107) .

القيم شواهد رمزية جزئية على تحقيق المثُل الأعلى في الثقافة وهي خاضعة للممارسة الأخلاقية، شديدة الالتصاق بما يجب على الفرد النهوض به من فعال حميدة، وهي تشكل الوجود من حيث كونه مرغوبا فيه أو موضوع رغبة ممكنة، بيد أنها تبقى اختيار الإنسان، فهو القادر على إخراجها إلى حيز الوجود الراهن، والنشاط القيمي لا يزيد في جوهره على أنه نشاط تفضيل أو ترجيح، نشاط واع وترجيح هادف، والقيم تشكل المرغوب فيه، وتظهر على أنها تمثيلات تشكل محل العالم بذاته الذي يمكن العيش فيه، من حيث أنها تؤلف رباطا بين الأشخاص، وتشكل حيزا تواصليا قلبيا يكون كل لقاء فيه تحققا أو إخفاقا أو تعديلا (رزفير، 2001، الصفحات 05-40).

تمثل القيم مجموعة من المقاييس التي تنبثق من جماعة ما وتتخذها معايير للحكم على الأعمال والتصرفات، ويكون لها من القوة والتأثير مكانة، ولها صفة الإلزام والضرورة العمومية، وأي خروج أو انحراف عن اتجاهها يصبح خروجا عن مبادئ الجماعة وأهدافها ومُثُلها العليا (بلمادي، 2016، الصفحات 102-121)، وتعد القيم اللب الاجتماعي للشخصية، فهي عنصر هام في تكوينها من خلال صياغة السلوكيات والتصرفات في إطار محدد يتفق وينسجم مع المبادئ

والقواعد التي يؤمن بها المجتمع، بذلك فهي ضرورة من أجل تنظيم الدوافع الإنسانية أثناء عملية التفاعل، وتمثل المستوى الأعمق الذي يوجه السطح الظاهري للشخصية، مما يجعلها أساس تشكيل الحياة الاجتماعية، وحراسة الأنظمة، وحماية البناء الاجتماعي من الانهيار والتدهور (الزيد، 2017، الصفحات 268-271).

2.1. البيئة الافتراضية وتجليات تحولات النسق القيمي.

استمدت التقنية فعاليتها دائما من قدرتها على تكوين نسق رقمي من التقنيات المادية، ونسق من العلاقات الاجتماعية، ونسق جديد من القيم، ويأتي مفهوم النسق القيمي مرادفا لمعنى النظام والتنظيم والمنظومة والبنية والنموذج التصوري للقيم، والإطار المرجعي المتكامل من التصورات، الذي يتحدد عبر وظيفة اجتماعية أساسية باعتباره طابعا جمعيا تراتبيا؛ يحوي عناصر مساندة وعلائقية وترابطية، خاضعا لبنية مجتمعية ذات معاني؛ تتحدد وتترتب ضمنه مجموعة من المعايير الدالة والقواعد الثقافية والأخلاقية المقبولة اجتماعيا، والتي يستخدمها الفرد في تقرير سلوكياته وتصرفاته.

لكن النسق القيمي الفعال في المجتمع أصبح عبارة عن أيديولوجيات لمعظم الناس، وهو غير فعال اليوم في دفع وتوجيه السلوك البشري، مما أدى إلى خلق فوضى في الشخصية، وقد لاحظ (**بول فاليري– paul valéry**) أن مفهومنا للقيم الأخلاقية والجمالية ينحوا إلى التقارب في عالم تسيطر عليه المضاربة على غرار قيمة السلع في البورصة، فليس هناك من معيار تابت للسلع، أو مقياس مستقر ودائم، بل هذه القيم تتأرجح ضمن سوق واسع، وترتفع وتنخفض وفق الأمزجة أو الهلع الذي يذب في السوق، أو وفق الرهانات المبنية على التقديرات الذاتية، حيث نرى تداعي الترابط الاجتماعي؛ أمام تنامي النزعة الفردانية الجذرية التي تلغي الروابط الموروثة، والهويات القائمة، في المقابل نلحظ تناميا غير مسبوق لأشكال جديدة من التجمعات التعاضدية، وولادة نماذج جديدة من التضامن في عالم تزدهر فيه دوافع المصلحة الاقتصادية، والقيم المادية والنرجسية والاستهلاكية وإشباع الرغبات (بندي، 2005، الصفحات 17-19).

يشكل العالم الافتراضي فضاء رمزيا بأبعاده وبناءه وخصوصياته والعلاقات التي يسعى لتأسيسها، وهو تجميع مفرط من التعقيد لكثرة الفاعلين فيه، ووسيط فوقي تتنوع أدوات الظهور والتمظهر عبره، مما يجعله فضاء قابل للملاحة حرفيا، ويلمح اللفظ إلى كل من الإقليم والاتجاه، وهو يتشكل بفعل الممارسات التي تحدث فيه، ونتاج التفاعلات والعلاقات الاجتماعية القائمة ضمنه، حيث ينتج أشكاله الخاصة من الهويات والقيم متأصلا في الثقافات والسياقات المحلية والتاريخية والعالمية، وهو يستأنس في الحياة اليومية حين يلجأ إليه الناس كوسيلة للتفاعل الاجتماعي، وفي إدارة أعمالهم، وتطوير علاقاتهم الاجتماعية، غير أنه يتيح أكثر من ما هو متعلق بالحياة اليومية، ومشاركة المعلومات، والتواصل العائلي، فغالبا ما يبحث الناس عن فضاء للتعبير عن عواطفهم ومشاعرهم، إنهم يبحثون عن إمكانيات للدعم العاطفي التفاعلي لمختلف المواقف الحياتية التي تواجههم (نايار، 2017، الصفحات 209-225).

إن التساؤلات حول دور العوالم الافتراضية في تشكيل القيم، ومعايير العلاقات داخل النسيج الاجتماعي، وبنية الحياة الثقافية، هي أكثر إلحاحا في سياق التحديات التي يفرضها التقدم والتوسع السريع في أنماط الميديا الجديدة، وهي تحديات عالمية تتصل بشكل خاص بالمجالات الاجتماعية والثقافية والدينية، وتحدث تحولات في العلاقة بين الأجيال، وخلخلة في معارف المجتمعات، وتدفعها إلى مواجهة مشكلات متزايدة التعقيد وبالغة الخطورة، لاسيما أن القيم تمثل أدوات

الضبط الاجتماعي ومحددات السلوك التي تفرز آليات الاستقرار والتوازن في المجتمعات البشرية، فإنه إذا تعرضت منظومة القيم الاجتماعية إلى هزات أو تحولات غير مرغوب فيها، أو انتابها نوع من الخلل، نتيجة عوامل وظروف محددة، تدهورت النظم الأخلاقية، وسادت الفوضى السلوكية، وفقد النظام الاجتماعي قدرته على البقاء، وظهرت حالة من اللامعيارية وعدم التوازن، وفقدان الناس لقيمة التنظيم والالتزام، وضعف لديهم الشعور بالانتماء للوطن، كل ذلك يعني الإحساس بوجود أزمة أو حالة يطلق عليها علماء الاجتماع"" اللامعيارية الأخلاقية (حدادي، 2018، صفحة 412).

لا شك أن أزمة القيم في الأساس انعكاس للتطور الذي يؤثر على المجتمع وهذه الأزمة لها علاقة قوية وجدلية وحتمية بالأداء الاجتماعي، أي تلك السلوكيات القائمة التي نلاحظها يوميا، ولا تكتسب أزمة القيم أهميتها إلا إذا تم وضعها في السياق العام، فالقيم معيارية تنظم الحياة في المجتمع تفضل أو تفرض نموذجا للحياة، تحدد ما هو جيد وما هو سيء، ما هو عادل وغير عادل، وهي لا تتعلق بالأداء الاجتماعي فحسب، بل تشكل معيارا أساسيا للهوية الفردية (mendel, 2004, pp. 11-12).

يرى (**أنطوني جيدنز -Anthony Giddens**)أن العالم الذي نعيش فيه الآن بدل أن يكون تحت سيطرتنا باضطراد، يبدوا أننا نفقد السيطرة عليه (إنه عالم جامح)، فالاتصال الالكتروني ليس مجرد طريقة لنقل المعلومات والأخبار، فوجوده يغير تركيب حياتنا، ويمس أدق التفاصيل الشخصية فيها، فقد يبدو الخلاف حول القيم بعيدا عن الفضاءات المعولمة؛ ولكنه ليس كذلك فأنظمة القيم التقليدية بدأت بالتحول، وهي تحت ضغط شديد في الكثير من المجتمعات، بالتالي فهي تخلق مزيجا من التغيرات التي تسير باتجاهات متضادة وليس تغييرا واحدا (جيدنز، 2003، الصفحات 19-32) وضمن هذا الفضاء الفارغ لا يمكن للذات الأخلاقية أن تشعر بالارتياح.

في ظل ذلك تعتبر القيم في خضم عملية التغيير هذه شديدة، فاعلة ومنفعلة، وهي بذلك تؤثر وتتأثر، تنمو وتضعف، واليوم صرنا نعيش ما يعرف بثورة القيم في عالم مفرط من التواصل، من خلال إحلال قيم بديلة محل القيم التقليدية، حيث تبدوا المعايير الايجابية والأخلاقية منسحبة من حياتنا في خضم العوالم الافتراضية، التي دفعت الفرد إلى تشكيل سلوكياته ومعارفه ونظرته للواقع والمجتمع؛ بناء على معطياتها الرمزية المستهدفة للوعي والمشاعر، مع إمكانية بناء هوية مصطنعة، هذا الوضع خلق حالة من الهدم والتفكيك لكل الخصوصيات، وإعادة بناءها وفق منطق جديد يلبي الأهواء والرغبات التي لا تحدها حدود، مع التأكيد على الحاجة الملحة لإشباعها وتعويض الفراغ بأي شكل كان، حتى من خلال تبني مفرداتها الصراعية القائمة على تغذية العنف والكراهية والتعصب والعنصرية.

بذلك سيطر العالم الافتراضي على الفضاء الواقعي في مختلف تجلياته ومظاهره، فانتقلنا إلى إشكالية أفول القيم وتراجع مكانتها وتهجينها والحرب فيما بينها، نحن ضمن عصر كوني متسارع بقدر ما هو الكتروني ورقمي، بقدر ما هو تقني وكوكبي، لأنه يصدع الحواجز بين الدول والمجتمعات، ويفتح الحدود بين البشر ليس فقط الاقتصادية والمالية، بل أيضا المعرفية والرمزية والخلقية، والانتقال إلى الإنتاج الالكتروني والسلع الافتراضية، بما يترك أثره الواضح والقوي في مختلف وجوه الأنشطة البشرية والبيئة الثقافية ومنتجاتها، وعلى مكانة النخب الثقافية وأدوارها (حرب، 2005، صفحة 199) .

كما تمت إعادة نمذجة الخبرات البشرية في الثقافات المختلفة في مجال المثل والأخلاق والجمال والسلوك، ومع التوسع المفرط والمتنامي للعالم الافتراضي؛ يتشظى الواقع الاجتماعي، ويواجه الجسم الإنساني والهوية الفردية عمليات التفتيت المادي؛ القابل للتحقق منه، ويصل العالم الافتراضي إلى غياب الجسد والمكان والالتزام الأخلاقي، مع خلق صورة مضللة للذاتي والاجتماعي؛ ملبيا حاجات هامشية تعيد صياغة الوجدان والوعي البشري، كل ذلك ضمن أطر استهلاكية، لذلك يحوي العالم الافتراضي كل ما هو صادم للمعايير التقليدية السائدة (ريجو، 2009، صفحة 08).

إن ما يحدث الآن إن جاز التعبير إنما هو إعادة توزيع وتخفيض لما تمتلكه الحداثة من قوى الإذابة، هذه القوى التي أثرت على المؤسسات القائمة والأطر المرجعية؛ التي حددت المجالات التي يمكن أن تتشكل فيها خيارات الفعل، حيث ألقيت جميع الأشكال العامة والوحدات الثابتة وأنماط التفاعل المتبادل؛ في بوتقة الصهر، حتى يمكن إعادة تشكيلها وصياغتها من جديد؛ أي تحطيم القوالب والنماذج وتجاوز الحدود والقيود، ولعل تفكيك الشبكة الاجتماعية وتداعي قوة الفعل الجمعي المؤثرة يبكيه البعض باعتباره أثرا جانبيا للخفة والميوعة؛ لسلطة تتسم بسرعة متزايدة من الزوال والتحول والتملص والحركة (باومان، 2016، الصفحات 47-58).

فتحولت الحياة الحقيقية إلى موعد عابر، زمن مستقطع من وجود افتراضي لا تجد فيه القيم مكانتها، في هذا الصدد يرى (**جان بودريار-jean baudrillard**) في مقاله **''من الكوني إلى المفرد: عنف العالمية''** أن القيم الكلية تندثر، وهو ما يشكل انتصار الفكر الأوحد على الفكر الكلي، إنه اختلاط الرموز الثقافية، فالموقف ينحوا إلى التشدد في ظل إلغاء كل الفروقات وكل القيم، مؤذنة بانطلاق ثقافة أو لا ثقافة غير مبالية كليا بالتمايز، وسير الخصوصيات نحو التلاشي، أو على نقيض ذلك نحو البروز المتشدد، فتبدوا جميع المفاهيم ثابتة، لأنها أشكال وهمية لكلية اندثرت (بندي، 2005، صفحة 53)، فأصبح التغيير في هيكلة القيم حقيقة واقعة في عالم الإنسان بكل مستويات انتماءه بدء من فضاء أسرته الصغيرة إلى المجتمع فالأمة الإنسانية، من دون إغفال أصغر دوائر انتماءه، وهي المتعلقة بذاته، ولعل تغير القيم النفسية والاجتماعية والأخلاقية والجمالية والدينية آلية طبيعية تلقائية؛ تحدث بسبب تغير الظروف والشروط والمعطيات التي يعيش الفرد فيها وينتقل إليها، لأن سلسلة الوجود البشري غير منقطعة ولا متوقفة (عزت، 2005، الصفحات 09-10).

بالتالي فالقيم هي عرضة للتأثير بمختلف متغيرات الواقع، وهي عرضة لحمل تبعات مختلف أنواع التحولات التي تطال هذا الواقع، وهذه القيم القابلة للتغيير هي مندرجة في كل ميادين القيم الجمالية والأخلاقية والدينية، وفي كل الأزمنة والأمكنة، ومن أبرز القيم المتغيرة بفعل مختلف العوامل تلك القيم الاجتماعية، والتي تندرج ضمن قيم العلاقات الأسرية والقرابية والعادات والتقاليد والأعراف، وقد فاقت الثورة التقانية بقوتها وعنفوانها وأثرها ما حدث من تغيرات على مستوى القيم طيلة مراحل التاريخ مجتمعة، فبقدر ما يسرت وسائل الاتصال التقارب والتواصل بين البشر؛ كان هذا التقارب تباعدا بينهم، فنجد أن القيم الاجتماعية التي حكمت مجتمعنا بدأت في التراجع، حيث وصلنا إلى حد التخلي عن الواجب والاستعاضة بالرسائل الالكترونية التي تختصر المعطيات الاجتماعية (عزت، 2005، صفحة 78).

إن القوى القيمية الجديدة حصرت نفسها بوجه عام في تنظيم الفضاء الاجتماعي بما يسمح به الخيال، ونفضت يدها من العلاقات والروابط الإنسانية بين الأشخاص، ومن الفضاء الصغير الذي يشهد قربهم وتعاملهم المباشر، حيث ظهرت قيم افتراضية وظيفتها غرس الانغماس في العوالم الافتراضية، هيمنت عليها الهشاشة والمعايير الاستهلاكية.

3.1 . إفرازات العوالم الافتراضية السائلة وتصدع النسق القيمي: مقاربة نقدية في القيم الجديدة المستحدثة.

إن التغيرات التي تشهدها البشرية زعزعت ثقة الإنسان بنفسه، وعملت على خلخلة قناعاته الراسخة، وتقويض نماذجه المثلى في الرؤية والتفسير والعمل والتدبير، وهي ثمرة غلبة الافتراضي على الواقعي والمصطنع على الطبيعي، إنها تضفي الطابع الهش والعابر أو الزائل على الأفكار والقيم والأعمال، بحيث تفقد الأشياء تباتها وصلابتها، وتزعزع أسسها وركائزها، لذا فالأزمة على هذا المستوى تطال السقف الرمزي والوجودي الذي أصبح يفتقر للمصداقية والمشروعية، فكل النظريات والفلسفات التي تفسر العالم وتنتج المعنى لم تعد كذلك، بل أصبحت تسهم في تدمير المعنى، وقد باتت بحاجة إلى التحليل والتفكيك (حرب، 2005، صفحة 202).

أصبح التحول إلى العالم الافتراضي دينامية العالم المشترك الذي يتقاسم من خلاله الأفراد هذا الواقع الجديد، الذي يستوعب أجسادهم وأفكارهم ونصوصهم، وحتى العلاقات الافتراضية المجمدة كالعقود هي كيانات عامة يقع تقاسمها ضمن المجتمع، وهي إجراءات سلوكية جديدة تتمفصل مع التي سبقتها، وتفضي السيرورة المستمرة الافتراضية في العلاقات شيا فشيئا إلى تعقد الثقافات الإنسانية: الدين، الأخلاق، الاقتصاد وغيرها، وربما لا يشكل التفاهم حالة طبيعية لأن البناء الاجتماعي بالنسبة للبشر يمر عبر الافتراضان (ليفي، 2018، صفحة 94) .

ومن مظاهر هذا التعقد أيضا أنه تم صناعة إنسان محاط بالإحباط وخيبات الأمل؛ نتيجة ضياع البوصلة الأخلاقية، وتفكيك المنظومات الاجتماعية كالأسر من خلال تحولات اجتماعية، وثقافية عاصفة، والتفكك المعولم يعني فقدانها لقدرتها على الاستمرار كمرجعية قيمية، وأخلاقية للناشئة، وذلك بسبب نشوء مصادر جديدة لإنتاج القيم والأخلاق في المجتمعات، وتعطيل نظام القيم، وتكريس معايير جديدة تقودها المصالح النفعية، الفردية، الأنانية، المادية، والتركيز على الجسد، وقتل الروح المعنوية، وتعميم قيم الاستهلاك والمتعة، وتضييع القيم العامة، وازدياد التشرذم الاجتماعي والتحرر من كل المبادئ والقيم الإنسانية السليمة.

أفرزت البيئة الافتراضية جملة من القيم والمفاهيم التي عوضت أغلب تصورات الأفراد: عن الأنا والذات الفردية والاجتماعية وعن الآخر والعالم، والتي أطلق عليها العديد من الباحثين مسميات: (قيم دخيلة، هجينة، بديلة، مستحدثة)، وذلك انعكاسا لمعطيات المشهد الإعلامي الجديد في صوره الافتراضية؛ الذي يشكل ثورة في مجال القيم والأخلاق والسلوكيات، ومن أكثر هذه القيم شيوعا وانتشارا في المجتمعات المعاصرة ما يلي:

1. قيم التحرر والانفلات من الضوابط والقيود.

يرى (**زيجمونت باومان– Zygmunt Bauman**) أن هناك نزعة محزنة اتجاه ما يسميه تحييد الأخلاق وفصلها عن الفعل، إذ تنفصل النظم والعمليات عن أية اعتبارات للأخلاق، ويوافقه (**ديفيد ليون– David Lyon**)

في كون التكنولوجيات الحديثة تفسد العلاقة بين البشر ومسؤولياتهم الأخلاقية المتبادلة، فعندما تحدث (**روجر سيلفر ستون -Roger Silverstone**) عن المسافة المناسبة في العلاقة مع الوسائط الحديثة كان يعني بها مسافة مميزة وصحيحة من الوجهة الأخلاقية والاجتماعية، فثمة نطاق من الوسائط التكنولوجية والخطابية التي تهز استقرار البعد المناسب اللازم للفعل الأخلاقي (باومان، ليون، 2017، الصفحات 96-105).

فنلاحظ أن الفضاءات الافتراضية عززت من شعور الفرد بالوحدة والانغماس في متطلبات زائفة وقيم مادية، وهذا ما تجلى في مظاهر المجتمع وقيم أفراده وسلوكياتهم التي أصبحت تنحوا إلى الرموز الثقافية والترفيهية التي أفرزتها العصرنة الاتصالية، وتعطيل نظام الأفكار، وتنميط اللغة والأذواق وأساليب الحياة، وتمزيق الروابط القيمية والثقافية التي كانت سائدة؛ من خلال العمل على تغيير النظرة إلى الأصول الحضارية التي تغذي عقول الناشئة، وحثها عبر الممارسة الاتصالية الجديدة إلى التمرد على المرجعيات الاجتماعية الأصيلة، حيث تجتهد عينات كثيرة من الشباب اليوم من أجل استعارة نماذج غريبة، وعادات استهلاكية متنوعة، يرونها مثالية ومغرية وجديرة بالاقتداء والهجرة إليها، مما يجعل الفضاء الاتصالي الجديد لا يمثل مجرد تقنيات ناقلة للمعلومات، بل يحيلنا إلى صورة الشبكات الرمزية التي تعمل على إنتاج وتمرير أنسجة دلالية من الأفكار والعادات والسلوكيات والانفعالات النفسية، التي أصبح من الممكن ممارستها إلكترونيا بعد تحويلها إلى طقوس علائقية مشتركة، تفقد الكثير من أدوارها التفاعلية والتثاقفية الحقيقية (الصغيري، 2021).

هناك تأثير واضح على القيم الدينية والقواعد الأخلاقية والممارسات السوية من خلال تفريغ قيم الاحترام والتقدير الشخصي والإنساني من مضامينها، والتطاول على الآخر والانفلات القيمي في التعامل الاجتماعي، وبروز منظومات سلوكية غريبة، وردود فعل لا تقيم وزنا للأخلاق واللباقة الاجتماعية، لاسيما في ظل شعور الفرد بالتحرر من الهوية الذاتية الحقيقية، والتواصل الافتراضي بهوية مزيفة، مما يكسر الحدود والخصوصيات واللامبالاة للقيم والضوابط نتيجة سمة المجهولية، حيث لم تعد أساليب التربية والتوجيه التقليدية كافية أو قادرة عل ضبط إيقاع التحولات الرقمية، وما يترتب عنها من تأثيرات سلبية على البنية السلوكية والقيمية والاجتماعية، واستهداف العقل والفكر ونظام الإدراك الجماعي، وتفكيك عناصر المثالية السلوكية الفردية وإحداث الفوضى بها .

انحسرت قيم الفضيلة والأخلاق والإيثار لدى الأفراد، وتطورت الأنانية داخل الأسر دون التزامات، وظهور القيم الانتهازية والدوغمائية وارتفاع نسبة القلق، وتضخم في الأنا والتوجه نحو الهيمنة، وتراجع الود والمسؤولية، وظهور القيم الأصلية وكأنها رجعية ومتأخرة، وبناء الهوية على مبدأ الذاتية والخصوصية الفردية، مما يؤثر على طبيعة آليات بناء الشخصية والنظم الاجتماعية والثقافية، وتغيير معايير التمايز الاجتماعي والقيمي، وانمحاء خصائص الحضور الشخصي، وغياب العناصر الهوياتية والثقافة الأصيلة سواء في اللغة أو العادات أو الانتماء أو أنماط السلوك واللباس، ويصبح الفرد يعرف بذاته عبر أيقونات وأسماء مستعارة وتجمعات خفية مجهولة الهوية (الفرفار، 2021، صفحة 154) .

2. طغيان القيم الاستهلاكية.

يعتبر (**روكيتش- Rokeah**)من الأوائل الذين قاموا بإجراء بحوث القيم لاستخدامها لأغراض تسويقية استهلاكية، ولعل المستجد في هذا السياق؛ هي البنية ما بعد الحداثية التي فرضتها الصناعة الإعلامية الغربية على بقية

المجتمعات، التي تؤمن الفرجة والترفيه بواسطة خطاب الصورة، حيث يطغى الإنتاج الترفيهي الاستهلاكي الهابط في الغايات والأهداف، وتتبنى صناعة القيم الاستهلاكية على المعيارية القائمة على القولبة الثقافية في شكل بضائع متجانسة قابلة للاستهلاك العام (البار, ميلود، 2021، صفحة 234).

إن ظهور القيم المادية والمجتمع الاستهلاكي ليس شيئا جديدا على المجتمعات، لكنه ازداد حدة ونموا مضطردا بفعل التطورات التكنولوجية في حياة البشر، حيث يربط **Bauman** الكثير من متغيرات العصر بالنزعة الاستهلاكية التي ارتفعت وتيرتها وانتشرت مظاهرها وتعمقت آثارها، وتتضح في ما يعنيه ب"**السيولة**": سيولة البشر بتدفقهم من مكان إلى آخر، سيولة المال وإلغائه للحدود التقليدية التي أقامتها الحداثة الصلبة، وسيولة الهويات بتغيرها المستمر، وسيولة القيم الأخلاقية من خلال النزعة الاستهلاكية وما أفرزته من تمظهرات في السلوك وفي المعتقدات (باومان، الأخلاق في عصر الحداثة السائلة، 2016، صفحة 11)، حيث تراجعت الثقافة بالمعنى العمومي الشامل لتفسح المجال لثقافة الاستهلاك، استهلاك اللحظة والمكان، فتحل محل القيم الكبرى قيم الإشباع الفوري والسعادة الفردية، وتغدوا الحياة الاستهلاكية معايير لتقييم هذا العالم وفق نموذج موضوعات الاستهلاك التي لها عمر افتراضي نفعي قصير، إذا انتهى لا يصلح استهلاكها (باومان، الحياة السائلة، 2016، الصفحات 15-31).

هناك حضور صارخ لنزعة ذوية متمردة متقدمة تلهبها دوره إعلامية دافعة إلى قيم الاستهلاك والمتعة والسطوة، وفي دائرة هذا الجنون الاستهلاكي يفقد كل نشاط أو فعل يعتمد على التأمل والتعقل قيمته ودلالاته المعنوية ومعناه، وهذا الانحسار القيمي يشمل اليوم كل صيغ التربية التقليدية، وكل معاني الثقافة التقليدية القائمة على معايير إنسانية سامية ومختلفة، في المقابل ترتفع السلع من قيمة استعماليه إلى قيمة رمزية بحد ذاتها فتقتنى لأجلها (وطفة، 2011، الصفحات 20-38)، في هذا الصدد يرى **جان بودريار-jean baudrillard**) أن المجتمع المعولم الذي خلقت حوله وسائل الإعلام الجماهيري الرقمي قدرا كبيرا من الرموز المتشبعة بالمعاني الذاتية المرجعية، هو عالم زالت منه علاقة الدال بالمدلول، وباتت الدلالة فيه والمعاني غريبة عن الواقع، هذا الأخير الذي ضاع في متاهة المصطنعات (الصور) اللامتناهية -المتخيلة والوهمية- التي تروجها الميديا، بذلك يفقد هذا الواقع وجوده ويعيش الفرد في عالم (فوق- الواقع) هو العالم التكنولوجي الافتراضي (بودريار، 2008، صفحة 18).

الاستهلاك لم يعد يشير فقط إلى الرغبات والملذات بقدر ما أصبح يشير إلى الاستثمار في العضوية الاجتماعية التي تترجم نفسها في مجتمع المستهلكين، إلى القدرة على ترويج الذات وتسويقها وبيعها، فالغرض تسليع المستهلك، ورفع حالته إلى السلع السائلة القابلة للبيع في السوق، وهو الدافع الأقوى للاهتمامات الاستهلاكية، وتكمن المفارقة هنا في أن الاستهلاك ينطوي على الإغواء الممتع للمستهلكين، وهذا الإغواء هو نتيجة مراقبة ممنهجة عريضة تتضح معالمها اليوم عبر مواقع التواصل التي تعكس أحدث التكنولوجيات في هذا المجال (باومان، ليون، 2017، الصفحات 19-39).

خلقت البيئة الكونية المعولمة إجماعا زائفا على استهلاك واقتناء سلع وخدمات كمالية لا يحتاجها الفرد، ولا تتفق مع أوضاعه الاقتصادية المعيشية، ولا تتفق وأولويات المجتمع، مع ازدياد الأهمية التي يعلقها الفرد على القدرة على الاستهلاك،

وتنافس الناس فيما بينهم لإظهار هذه القدرة، وانتشار الاستهلاك المظهري الذي لا يخدم إلا هذه الرغبة في التفوق على الآخرين (أمين، 2009، صفحة 128) فهناك برمجة مسبقة يتحدد من خلالها الذوق والوجدان، ويصبح منطق الاحتفاء المبالغ فيه بأهمية الرموز والعلامات المادية مسيطرا، مما يخلق نوعا من الارتهان الزائف بين الحصول على سلعة أو استهلاكها، وبين تحقيق السعادة أو الحرية، مما أدى إلى التركيز على الهم الاستهلاكي، وظهور رغبات واحتياجات مصطنعة ترهق الكاهل، وتخلق ضغوطا مادية أو معنوية، وتصاعد مساحات النفعية والمردودية الآنية في ظل العوالم المتخيلة التي تمجد ثقافة الاستهلاك والفرجة وطغيان الإنتاج الترفيهي الهابط في المستوى والأهداف.

3. تنامي النزعة الفردانية.

تمثل الفردية منتجا نهائيا للتحول المجتمعي الذي يتخفى في صورة انكشاف شخصي، وهي ترمز إلى الاستقلال الشخصي وتراجع الجماعة، وكانت نشأتها إنذارا بضعف وتداعي وتقطيع الشبكة الكثيفة للروابط الاجتماعية؛ التي كانت تغلف بإحكام كلية الأنشطة الحياتية، وهي تتشكل في التعاملات اليومية، وتنذر بفقدان المجتمع للقوة أو الاهتمام اللازمين للتنظيم المعياري لحياة أعضائه، والأدق أنها كانت تنذر بانتهاء الوجود لنفسه حسب هيجل Hegel أو الوجود الاستعمالي حسب هايدغرHeidegger (باومان، الحياة السائلة، 2016، الصفحات 44-46).

أصبح الفرد يوظف أدوات التواصل الالكترونية في التفاعل الشخصي دون قيود التنشئة الاجتماعية، وضمن التعاملات الإنسانية اليومية عبر وضع الالتزامات وإلغائها، وتعزيز الروابط الافتراضية وقطعها، وكل عضو من أعضاء المجتمع الخاضع لسيرورة النزعة الفردية؛ يواجه بعض العوائق في طريقه إلى الفردية بحكم الواقع، فصار طلبها يعني صراعا لا ينتهي، لأنها تدفع للامتثال العام للقاعدة، بما يلبي متطلبات الفردية (باومان، الحياة السائلة، 2016، الصفحات 46-49)، فأشبع هذا المنزع نحو الفردانية تمرد الفرد وانفكاكه عن كل القيود والثوابت والمسلمات الأخلاقية، وازدهرت بذلك المادية والأنانية وغيبت حقيقة الإنسان، وجعلت منه العابث المتمحور في إشباع رغباته المادية (القحطاني، 2015، صفحة 49) في هذا العالم الذي لا يشبع منه مستهلك الحداثة السائلة.

يرى (**روجر سلفرستون–** Roger Silverstone) في هذا الصدد أن الأفراد الأكثر عرضة للوسائل الإعلامية على نطاق شبه عالمي، يتأثرون بنحو خفي في جزء كبير من أفعالهم الاجتماعية، حيث تبدأ الذات في تجاهل العلاقات الشخصية وجها لوجه وعدم اعتبارها ضرورات وجودية، وهو ما أطلق عليه (**باري ويلمان** –**Barry Wellman**) باسم "**الفردية الشبكية**" التي تميز نمط تشكيل العلاقات الاجتماعية، وقد عرف (**إمانويل كاستيلز– Manuel Castells**) الفردية بوصفها مشاريع وعلاقات ذاتية للتوجيه، وليست موجهة من خلال التقاليد، أما مفهوم الفردية الشبكية فيشير إلى حدوث تحول تاريخي يتأكد من خلال الانتقال من المؤسسات التقليدية ذات المرجعية الاجتماعية إلى الشبكات الاجتماعية، التي تساعد على تحويل التركيز الفردي والاجتماعي، بعيدا عن الروابط القوية وتوجيهها نحو الروابط الضعيفة (جونسون، بريور، 2021، الصفحات 27-32).

كما برزت عملية الشخصنة داخل الفضاء الانضباطي بحيث تميز العصر الحديث بتزاوج منطقين متناقضين: إلحاق عملية الشخصنة لفضاءات الحياة الاجتماعية على نحو متزايد، وتراجع العملية الانضباطية، وهما اللذان ساقا إلى الحديث

عن مجتمع ما بعد الحداثي، بمعنى مجتمع يعمم أحد اتجاهات الحداثة التي كانت تشكل الأقلية في البداية، والحديث عن مجتمع ما بعد الحداثة هو حديث عن الانعطافة التاريخية التي عرفتها أهداف التنشئة الاجتماعية، وأساليبها التي تعيش اليوم في كنف آليات مفتوحة وتعددية، واللامبالاة الجماهيرية في ظل الوسائط الإعلامية، وهيمنة الإحساس بالتكرار ومراوحة المكان، وتعد الاستقلالية الفردية فيه أمرا طبيعيا، حيث تتلهف مجتمعات اليوم إلى الهوية والاختلاف والاسترخاء والتحقيق الفوري للذات، وميول متزايد إلى العزلة عند الأفراد، هذا المجتمع لا يمثل مرحلة بعدية للاستهلاك، بل تتويجا لهذا الأخير، وامتدادا له على مستوى الفضاء الخصوصي، وعلى مستوى صورة الأنا ومستقبلها التي ستحظى بمصير التهالك المتسارع والحركية والتزعزع، إننا نعيش مرحلة جديدة من مجتمع فردي استهلاكي، مرحلة باردة تمكن فيها الاستهلاك من هضم النقد الموجه للبذخ، وهجر أنساق المعنى الكبرى، وتقديس المشاركة والتعبير، ومزيد من التنوع والاختيارات الخصوصية، وإعادة إنتاج مبدأ الخصوصيات الفردية على نحو موسع، وإعادة هيكلة الحياة الاجتماعية (ليبوفتسكي، 2018، الصفحات 11-12).

إن ثقافة الفضاء الافتراضي هي ثقافة إحساس وتحرر فردي الذي يطال جميع فئات الأعمار، فقد أصبحت التربية متساهلة للغاية ومستمتعة لرغبات الأطفال والمراهقين، في الوقت الذي تقوم فيه الموجة المتعية بنزع الشعور بالذنب عن الزمن الحر، والتشجيع على تحقيق الذات دون قيود، وزيادة الأنشطة الترفيهية، وبروز الإغراء: ذلك الهدم البارد لكل ما هو اجتماعي عبر عملية عزل لم تعد تنتظم من خلال القوة أو الأطر القانونية ولا الأخلاقية أو الاجتماعية، إنما عبر المتعة والإعلام والمسؤولية عن الحياة الخاصة، والمطالبة الفردية بإدارة الرأسمال الجمالي والعاطفي والجسدي على نحو أمثل، وهذا التخم يسقط تحت أنظارنا بسرعة مذهلة، حيث تؤدي الشخصنة المدفوعة بتسارع التقنيات والاستهلاك الجماهيري في ذروتها إلى حكم الفرد وتفجر آخر الحواجز، ويواصل منطق الإغراء طريقه مكتسحا كل فضاء، ويحقق بذلك تنشئة اجتماعية مرنة ومتسامحة تعم على شخصنة الفرد ونفسيته، ولابد أن يتواصل الجميع دون مقاومة، ودون إبعاد في هذا الفضاء الواسع (ليبوفتسكي، 2018، الصفحات 23-36).

لقد تضاعف القلق في عالمنا المعاصر نتيجة الفردانية، وازدادت هشاشة العلاقات والتمزقات النفسية والاجتماعية، نتيجة الانفصال العاطفي ضمن العلاقات الاجتماعية بين الزوجين وبين أبنائهما، فقد تذبذبت العلاقات وانتهت أخرى، بسبب تقلص الحوار والخطاب بين الأفراد، واستبدال العلاقات الحقيقية بأخرى افتراضية، مع ظهور علاقات غير مشروعة تتعارض مع قيم ومعايير المجتمع، وهي علاقات وهمية تتسم بسعادة آنية غير دائمة؛ كان من نتائجها كثرة المشاكل والطلاق، وانعدام الثقة وكثرة الشكوك، وأصبح الحب سائلا حسب تعبير **Bauman** يفتقر للصلابة والبقاء، وصار اللهث وراء المال والشهرة مطلب الكثيرين، هنا ظهر حجم التسليع والتنميط لكل التصرفات والسلوكيات الاجتماعية وحتى المشاعر الإنسانية. فتحولت الأنساق من وضوح العلاقات الاجتماعية إلى غموض الصلات العابرة في ظل تنامي السيولة في كل شيء من حوله، وفي ظل تحول المجتمع إلى مجرد تجمع بشري مسوق للمتعة واللذة ضمن عالم من الصلات العابرة؛ ظنا من

الفرد أنه يتحرر من مسؤولياته، ولا يحرم نفسه من فرص قد تظهر وآفاق قد تستجد (باومان، الحب السائل: عن هشاشة الروابط الإنسانية، 2016، صفحة 18).

ذهبت (**كيرونكروس– Cairncross**) في كتابها "**موت المسافات**" the death of distance » إلى التأكيد على أن الأبعاد الجديدة للاتصال عبر الفضاء الافتراضي؛ تتجاوز مفهوم إزالة الحدود الجغرافية بين البشر، ذلك أنها حققت تأثيرا أكبر على المستوى الثقافي والاجتماعي، فقد أسهم الفضاء الافتراضي في طرح مشكلات كثيرة ضمن العلاقات الاجتماعية؛ كتلبد الحس الاجتماعي والوجداني والاغتراب والعزلة الاجتماعية، وتفتيت العلاقات الحقيقية وتحويل الدفء والحميمية إلى حالة الفتور والبرودة، وتغير أنماط التصرفات، وفتح مسارب سلوكية أضرت وضربت منظومة القيم (بن سليم، 2020، الصفحات 141-163).

ولعل حالات الضعف والوهن التي تعتري الشراكات الشخصية ليست السمات الوحيدة للحياة المعاصرة، فثمة حالة غير مسبوقة من الميوعة والهشاشة اللحظية الكامنة، والمشهورة باسم "المرونة" التي تضرب بأشكال الروابط الاجتماعية كافة، وتؤدي إلى ذبول المجال الخاص(الأسري) أيضا وصعود المجال الشخصي (الفردي المحض) (باومان، الحب السائل: عن هشاشة الروابط الإنسانية، 2016، الصفحات 23-132).

4. قيم الخصوصية: بين الموت والتآكل.

الخصوصية ذلك الهيكل الاجتماعي الذي تسبب الانفجار الرقمي في زعزعته، ثمة شيء مشابه في علاقتها بالسرية، وهذه الأخيرة فكرة محورية مهمة في الكتابات السوسيولوجية القديمة لعالم الاجتماع (**جورج زيمل– Georg Simmel**) الذي يرى أن عدم إفشاء الأسرار أمر مهم لتشكيل التفاعل الاجتماعي، لكن في أيامنا هذه لا يخيفنا إمكانية إفشاء الخصوصية أو انتهاكها، ولكن إغلاق المخارج التي يمكن من خلالها إفشاء الخصوصية، فالسعادة اليوم في إفشاء تفاصيل الحياة الحميمة والشخصية، وتدوين معلومات دقيقة عنها، ونشر ومشاركة الصور ومقاطع الفيديو، فالمستخدمون يصدقون أن هذا التواصل الافتراضي هو وسيلة للتمرد وتوكيد الذات، وهذا ما حول الحياة الاجتماعية بالفعل إلى حياة افتراضية؛ نتيجة صحبة الأجهزة والتصاقهم بها، فهناك تمركز ثنائي لحياتنا بين العالم الواقعي والعالم الافتراضي (باومان، ليون، 2017، الصفحات 47-57).

تمثل مفاهيم السرية والانعزال عقبات في طريق التواصل ليس لها حدود، وهي المفاهيم التي أصبح من الضروري تفكيكها، حيث يؤدي الفضاء الافتراضي إلى الاستخدام المكثف للحرية، ولا يمكن تحقيق ذلك إلا عن طريق الكشف الطوعي للذات، فالافتراضي يعمل على استغلال الحرية على نحو نموذجي، حيث يرى (**بيونغ تشول هان-Byung Chul Han**) أننا اليوم داخل إيديولوجيا ما بعد الخصوصية التي تنطوي على السذاجة باسم الشفافية التي تدعوا إلى القضاء بشكل تام على المجال الخاص، حيث يقصد بالشفافية: "الكشف، البوح، إفراغ المشاعر الداخلية"، فالمساحة الخاصة والإحساس بأهميتها لا يتم الأخذ بهما، ولا دمجهما في التداول السريع للمعلومات والتواصل، حيث يتم إقصاء المساحات السرية للخصوصية كافة باسم الشفافية، التي تجعل العالم مكشوفا بما فيه الكفاية، وهذا الوجود العاري ليس له أي معنى

بقدر ما يكون له شأن داخل قيمة العرض، ولا يحدث تراكم في القيمة إلا بقدر ما يثير عرض الأشياء وظهورها (هان، 2019، الصفحات 08-30).

يمثل التمسك بوسائل التواصل الاجتماعي نتاجا للتفكك الاجتماعي، ذلك أنها هشاشة الروابط الاجتماعية هي التي تسمح لسلطة العولمة بالعمل والاجتياح الناعم أحيانا والخشن أحيانا أخرى، فخصوصية الفرد وعكوفه على نفسه في الساحة الافتراضية لعالم الشبكة؛ هي لحظة انفتاحه بكل تفاصيل يومه وتفضيلاته وذكرياته بالصوت والصورة ليكون مرئيا للآخرين، ويقبل طلبات الإضافة ونقرات الإعجاب ممن قد لا يعرفهم، في المقابل ثمة زاوية أخرى لتحييد الأخلاق وفصلها؛ بقبول فقدان الخصوصية كثمن معقول للعجائب المعروضة مقابلها، فكثرة المتابعين تبهج المرء لدرجة إفشاء أسرار حياته الخصوصية، أو انتهاكها دون الشعور بالقلق، ومن يغلق مخارج إفشاء الخصوصية يغدوا متهما بالغموض وموضع ريبة وشك، ويتم رفضه واستبعاده بمجرد التوقف عن التغريد اليومي، بالتالي فالتعري الجسدي والاجتماعي والنفسي هو سمة العصر، وهو السلوك الذي بات يضمن القبول، عبر الانخراط في التيار العام، والاعتراف والحكي والبوح هو ضمانة قبول من الآخرين، دون الاهتمام بأخلاقيات السرد ومثاليته وجودته (باومان، ليون، 2017، الصفحات 15-19).

أصبحت مشاركة الحياة الخاصة وحتى المشاكل الزوجية والأسرية أهم مظاهر الحياة المعاصرة، فالفرد يعيش "الإستعراء المعمم"، مما أدى إلى موت الخصوصية في عالم الانترنيت حسب العديد من الباحثين، فهذا الفرد يقود حقوق خصوصيته إلى المذابح بإرادته، وتآكل الخصوصية هو نتاج الخدمات المنتشرة للتواصل الاجتماعي، وكاميرات الهواتف النقالة، ومواقع استضافة الصور والفيديوهات المجانية، وتآكل الخصوصية هو أيضا نتاج التغير الذي حدث في رؤية الناس لما يجب أن يكون عاما، وما يجب أن يكون خاصا، فالانترنيت لا يسرق إنسانيتنا، بل يعكسها، إنه لا يلج داخل الفرد بل يعكس ما بداخله، وهو وصف يوافقه (**ديفيد ليون–David Lyon**) فاستخدام الانترنيت ومواقع التواصل في نظره يكشف الكثير عن علاقاتنا الاجتماعية، ويفسر التغيرات حولنا (باومان، ليون، 2017، الصفحات 43-47).

إن ممارسات ما بعد الخصوصية التي تتطلب تحت ذريعة الشفافية كشفا متبادلا ومتحررا من القيود كافة، تترسخ آثارها السلبية في المجتمع، نتيجة عرض كل شيء كسلعة، وتضمينها داخل الفضاء المرئي المفرط، إنها تسعى إلى تعظيم حتمية العرض عبر تواصل يثبط أي نوع من التعقيد لصالحه، فالاتصال المفرط المخدر يقوم بإتمام عملياته دون تعقيد أو عقبات (هان، 2019، الصفحات 36-40)، ولعل تآكل الخصوصية غالبا ما يحدث بواسطة التراكم الساكن: من خلال اللامبالاة، عدم الاكتراث، الدعم الصامت للإجراءات التي تصور على أنها ضرورية أو تبدو حميدة أو ضارة، ولا يجب أن نتظاهر أن عالمنا الرقمي هذا لن يمثل فيه قانون السلوك المنتهك للخصوصية أي مشكلة، فالخصوصية على الشبكة عرضة لنطاق واسع من الهجمات، والفضاء الالكتروني يجري فيه التحكم في السلوك بدرجة أقوى مما يحدث في العالم الواقعي، وتبقى المسألة متروكة للمستخدم لتحديد ذلك، وهو بحاجة إلى اختيار القيم والمبادئ التي تحدد مدى التحكم في الخصوصية (واكس، 2013، صفحة 137).

5. قيم الاغتراب والتشيؤ الافتراضي.

يرى (**إريك فروم– Erich Fromm**) أن الإنسان العصري يعاني من مرض الاغتراب، وهو تشيؤ الإنسان وفقدانه السيطرة على نفسه، وتحوله إلى محكوم من قبل الأشياء والظروف التي تخلقها، وهو حسب (**فريديريك هيجل – Friedrich Hegel**) يعني أن الشخص قد أضاع نفسه وكف عن تصورها كمركز لنشاطه (فروم، 2013، الصفحات 28-30)، وقد توصل العالم الأمريكي (**ملفين سيمان -Melvin Seeman**) عام 1959 إلى تحديد خمس مفاهيم مختلفة للاغتراب أطلق عليها مسميات: العجز، فقدان المعايير، غياب المعاني، اللاانتماء، والاغتراب الذاتي، في حين اهتم (**مارتن هايدغر– Martin Heidegger**) في كتابة "**الوجود والزمن**" بالاغتراب في حديثة عن الوجود المزيف الغارق في الحاضر، حيث يكون الإنسان مغتربا عندما يتخلى عن حق الاختيار ويهرب من ذاته وأزماته، ويعيش في حالة من الزيف ويغرق في عالم الآخر، ويصبح شخصا آخر لا نفسه (بركات، الاغتراب في الثقافة العربية: متاهات الإنسان بين الحلم والواقع، 2006، الصفحات 36-46).

هذه المعاني لمفهوم الاغتراب في العالم الحقيقي نلاحظ أنها تلاءم العوالم الافتراضية، التي قلصت من دائرة الذات، وما تفرزه من مشاعر العزلة الاجتماعية والفراغ الداخلي واللامعيارية والانغلاق والانفصال عن الواقع، مما يسهم في فقدان الرقابة على النفس، وتقليص مرجعيات المعنى، فلم يعد الواقعي ملاذا تحتمي به الذاكرة وتبحث فيه عن حقائق الوجود.

هذا ما يفقد القيم مكانتها وأساسها في المجتمع، فتبدو مجرد أدوات عملية، وإجراءات منطقية يتم إتباعها ما دامت تناسب الظروف وتحقق المطلوب، ويتم تغييرها باستمرار لتحقيق المصلحة من منظور كل إنسان حسب ظروف دائمة التغير، وذلك نتيجة بعض التحولات في شتي مناحي الحياة، التي أفرزت اضطرابات وتفكك اجتماعي، وانهيار للقيم السائدة نتيجة سرعة هذه التحولات التي لم يستوعبها المجتمع، وهو ما يعرض منظومة القيم الاجتماعية إلى هزات عنيفة أو تحولات غير مرغوب فيها، نتيجة عوامل متداخلة، أدت إلى سيادة الفوضى الأخلاقية والسلوكية، وفقدان النظام الاجتماعي قدرته علي البقاء والالتزام، فأصبح الاغتراب يعبر عن حالة انهيار في العلاقات الاجتماعية، بما يبديه المغترب من عدم الرضا والرفض لكل قيم المجتمع، ويكشف عن غياب الإحساس بالانتماء وانعدام الشعور بالحياة، وعجز عن التوافق مع الذات والآخرين(الحليم، 2019، صفحة 543).

إن الفرد يعيش اغترابا مضاعفا تتكامل فيه العناصر الاستيلابية والقيم الاغترابية للثقافتين التقليدية والحديثة، وغالبا ما تمتلك هذه القيم قوة جذب وتدمير أشبه بثقوب سوداء، تحول الإنسان في النهاية إلى مضغوطات استهلاكية فاقدة للمعنى والدلالة (وطفة، 2011، الصفحات 20-38) وطبيعة الاغتراب في الفضاء الافتراضي تبدأ من كون الإنسان مفصولا عن منتجات استخدامه؛ سواء أدرك هذا أم لم يدركه، يختزل كلامه بكل تفاصيله إلى مستخدم بدلالة رقمية تعتمد لغة الآلة من أصفار وأحداث، ويصبح مجرد شفرة رقمية، حيث يشكل فقدان الحضور الفيزيائي في الفضاء الافتراضي شكلا جديدا من أشكال الاغتراب والتشيؤ، فالإنسان في الفضاء الافتراضي يتماهى مع العالم الرقمي حتى يصبح جزء منه، وكأنه مكون رقمي، وتتداخل المفاهيم ليشعر الإنسان بالاغتراب، نتيجة الانفصال عن ذاته (البدور، صبحي، 2021، الصفحات 85-96).

أصبحت ظاهرة الاغتراب معززة نتيجة الإغراء الذي تمارسه تأثيرات الانغماس في العوالم الافتراضية؛ والذي يمثل الشكل الذي تتخذه مسألة الوجود في العالم المعاصر وترجمته إلى اللغة التقنية الحديثة، فالمعاني المتعددة والمتناقضة؛ تصطدم وتتداخل وتتشابك وتتغير في اتصال مع بعضها البعض، حيث يوجد اليوم نوع من الاسترخاء في مواجهة قواعد الأخلاق، فلم تعد المسألة تتعلق بمجتمع متساهل، ولكنها بالأحرى تتعلق بتطور العلاقة مع المعايير الداخلية، مما يتيح قدرا أكبر من الحرية وتفكك المجال العام والخاص، بما يؤدي إلى ظاهرة التشيؤ والاغتراب الذاتي(mell, 2015, pp. 231-250) .

خاتمة:

ختاما للمعطيات المقدمة ضمن هذه الورقة البحثية؛ تجب الإشارة إلى أن تحليلنا لواقع القيم من منظورات نقدية، والرؤى المفسرة لواقع تغير القيم والأخلاقيات، وتراجع الخصوصيات في ظل سيولة العوالم الافتراضية؛ لا يعبر عن نظرة تشاؤمية للراهن، بقدر ما يحيل إلى القلق بشأن تفريغ النسق القيمي من محتواه الروحي والأخلاقي، وهي محاولة لرؤيته من زاوية العين الناقدة والإستشرافية التي كشفت عن تصدعه؛ نتيجة بروز قيم جديدة أطرتها سياقات التواصل والتفاعل الافتراضي، ضمن سيرورات تشكيل أنماط الحياة وأشكال العلاقات الاجتماعية، والتي أثرت على طبيعة السلوكيات والممارسات اليومية التي أصبحت شبه طقوسية نظرا لاستمرارها بنفس الوثيرة وبذات المشاعر والأحاسيس.

ففي عصر العوالم الافتراضية وما تشكله من حياة سائلة تهمين وتسيطر على مجريات الحياة اليومية؛ لا حضور لعلاقات اجتماعية متينة، لأنها تحيى في حالة من الذوبان، سريعة الزوال والتفكك، ويبدو فيها مفهوم القيمة والأخلاق ضبابيا لا يشير إلى حقيقة معينة وجلية في ظل سرعة التنفيذ والأداء والقدرة على الانتشار والزوال، فقد خلقت العوالم الافتراضية قيما وعلاقات مصطنعة تتأرجح بين الواقعي والرمزي ويتجاذبها الحقيقي والوهمي، لدرجة تصدعها وزيادة هشاشتها، من خلال معطيات بديلة تؤسس لأساليب العيش الفرداني، ومشجعة على الترحال الاستهلاكي، تدفع لتجاهل وهدم صرح الخصوصية، وخلق مفاهيم التحرر والاغتراب والتشيؤ، وهو ما يشكل تبعات انصراف مجتمع اليوم إلى العوالم الافتراضية ليعيش فيها كل المعطيات والتجارب الحياتية، مما يكشف تحولات قيمية تطال مفهوم الإنسان وحياته المعاصرة، حيث يظهر ككائن اتصالي منبهر بقيم التبادل والمشاركة والإعجاب، والاسترسال في الحديث والبوح، ومحو كل ما هو جميل وخاص وشخصي، والبحث عن إقامة العلاقات الافتراضية، وعن مزيد من الأصدقاء والمتابعين، غافلا عن تراجع علاقاته الحقيقية، وعن تأزم قيمه وهشاشة حياته، مستسلما لما تحدده معايير البيئات الافتراضية والمساحات البديلة من قيم وأذواق عامة وسلوكيات، يتم فرضها وصياغتها من خلال عقليات مصممة الكترونيا.

لم يعد العالم الافتراضي جزء من عصر سائل أو حياة سائلة، بقدر ما أصبح يشكل السيولة بحد ذاتها، لأنه يتيح كل شيء للفرد، وفي مختلف الأزمنة والأمكنة، والدليل أنه لا ينفصل عن حياته وأنشطته اليومية، بل الفرد لم يعد قادرا على انتزاعه من حياته أو الاستغناء عنه سواء ضمن حاجات ايجابية أو أخرى سلبية، وهو في هذه الأخيرة لا يترك مجالا للفرد لتأمل ذاته وتحديد مسؤولياته والتفطن لانحدار قيمه ومبادئه، إنه يفصله عن الواقع ويسعى لسجنه وسحبه نحو مزيد من التماهي والذوبان عبر تعزيز ممارساته الافتراضية وبث جميع أفكاره.

هذا الواقع يجعلنا نوصي بضرورة التفكير في مستقبل لا يركن إلى الهرولة وراء كل ما هو جديد، والموافقة على كل مستحدث يطرق بابنا دون فهمه وتدبره، فمجتمعنا العربي الإسلامي له قيمه ومبادئه التي أرساها ديننا الحنيف، فيجب الحرص على عدم الهروب من عبء المسؤولية الأخلاقية عما يجري حولنا، والانتباه إلى ما يتعرض له أبنائنا من تيارات وافدة لا تتناسب مع مرجعيتهم الدينية والأخلاقية، ما يتطلب تصحيح الخلل السلوكي، بإعطاء القيم معناها ودلالتها الروحية والرمزية والمعيارية، وضرورة إخراج النسق القيمي من كل الأزمات والصراعات والأبعاد التفكيكية، واحتواء القيم ضمن كنف البعد الديني والإنساني، وإعطاء نظرة أكثر معنوية لدعم الثوابت الأخلاقية.

قائمة المراجع باللغة العربية:

- أحلام بلمادي. (2016). سوسيولوجية القيم والتغير القيمي في المجتمع الجزائري. *مجلة الحكمة للدراسات الاجتماعية ، ع7*، الصفحات 102-121.
- إريك كازدين، إمري زيمان. (2016). ما بعد العولمة (ط1). (تر: أميرة أحمد إمباني) القاهرة، مصر : مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.
- إسماعيل عبد الفتاح. (2001). *القيم السياسية في الإسلام* (ط1). القاهرة، مصر: دار الثقافة للنشر.
- البار, ميلود. (2021). سوسيولوجيا الأنساق القيمية في الفضاء العمومي الافتراضي: قراءة نقدية في إعادة إنتاج المفاهيم. *مجلة المقدمة للدراسات الإنسانية ، م6* (ع1)، صفحة 234.
- البدور، صبحي. (2021). تجليات الاغتراب والتشيؤ في الفضاء الافتراضي. المجلة الأردنية للعلوم الاجتماعية ، م14 (ع1)، الصفحات 85-96.
- السيد أحمد عزت. (2005). آفاق التغير الاجتماعي والقيمي: الثورة العلمية والمعلوماتية والتغير القيمي (ط1). سورية: دار الفكر الفلسفي .
- العياشي الفرفار. (2021). المجتمع الافتراضي والسلوك الاجتماعي: دراسة ميدانية لسلوك المنخرطين في شبكات التواصل الاجتماعي الفايسبوك نموذجا. المجلة الجزائرية للأبحاث والدراسات ، م4 (ع1)، صفحة 154.
- أنطوني جيدنز. (2003). عالم جامح: كيف تعيد العولمة تشكيل حياتنا. (تر: عباس كاظم، حسن ناظم) بيروت، لبنان: المركز الثقافي العربي.
- إيريك فروم. (2013). كينونة الإنسان. (ط1). (تر: محمد حبيب) سورية: دار الحوار.
- باومان، ليون. (2017). المراقبة السائلة. (ط1). (تر: حجاج أبو جبر) بيروت، لبنان: الشبكة العربية للأبحاث والنشر.
- برامود كيه نايار. (2017). مقدمة إلى وسائل الإعلام الجديدة والثقافات الإلكترونية. (تر: جلال الدين عز الدين علي) مؤسسة هنداوي.

- بيونغ تشول هان. (2019). مجتمع الشفافية. (ط1). (تر: بدر الدين مصطفى) مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث.
- بيير ليفي. (2018). عالمنا الافتراضي: ماهو ؟ وما علاقته بالواقع؟. (ط1). (تر: رياض الكحال) البحرين: هيئة البحرين للثقافةوالآثار.
- جان بودريار. (2008). المصطنع والإصطناع. (ط1). (تر:جوزيف عبد الله) بيروت، لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية.
- جان بول رزفير. (2001). فلسفة القيم. (ط1). (تر: عادل العوا) بيروت، لبنان: دار عويدات للنشر.
- جلال أمين. (2009). العولمة. (ط1). القاهرة، مصر : دار الشروق.
- جونسون، بريور. (2021). علم الاجتماع الرقمي: منظورات نقدية. (تر: هاني خميس أحمد عبده) الكويت: عالم المعرفة: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
- جيروم بندي. (2005). القيم إلى أين. (تر: زهيدة درويش جبور، جان جبور) بيروت، لبنان: دار النهار.
- جيل ليبوفتسكي. (2018). عصر الفراغ: الفردانية المعاصرة وتحولات ما بعد الحداثة (ط1). (تر:حافظ إدوخراز) بيروت، لبنان: مركز نماء للبحوث والدراسات.
- حسن الساعاتي. (1988). نسق القيم في المجتمع والتغير الاجتماعي. الرياض، السعودية: جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية.
- حسينة أقراد. (2021). الميديا الجديدة ومسألة إزدواجية القيم في السياقات العربية بين المتطلبات الجديدة للتفاعل والتداعيات. حوليات جامعة الجزائر 1 ، م35 (ع1)، صفحة 635.
- حصة عبد الكريم الزيد. (2017). مدى تأثر القيم الأخلاقية بالتغيرات المعاصرة بالمجتمع السعودي ودور الدعوة في المحافظة عليها. مجلة كلية التربية ، ع174، الصفحات 268-271.
- حليم بركات. (2006). الاغتراب في الثقافة العربية: متاهات الإنسان بين الحلم والواقع. (ط1). بيروت، لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية.
- حليم بركات. (2000). المجتمع العربي في القرن العشرين: بحث في تغير الأحوال والعلاقات. (ط1). بيروت، لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية.
- ريموند واكس. (2013). *الخصوصية: مقدمة قصيرة جدا*. (المجلد ط1). (تر: ياسر حسن) القاهرة، مصر: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.
- زيجمونت باومان. (2016). الأخلاق في عصر الحداثة السائلة (ط1). (تر:سعد البازعي، بثينة الإبراهيم) أبو ظبي: هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة.

- زيجمونت باومان. (2016). الحب السائل: عن هشاشة الروابط الإنسانية (ط1). (تر:حجاج أبو جبر) بيروت، لبنان: الشبكة العربية للأبحاث والدراسات.
- زيجمونت باومان. (2016). الحداثة السائلة (ط1). (تر: حجاج أبو جبر) بيروت، لبنان: الشبكة العربية للأبحاث والنشر.
- زيجمونت باومان. (2016). الحياة السائلة (ط1). (تر:حجاج أبو جبر) بيروت، لبنان: الشبكة العربية للأبحاث والنشر.
- علي أسعد وطفة. (2011). في الإغتراب الثقافي المعاصر. مجلة المعرفة السورية ، 571، الصفحات 20-38.
- علي حرب. (2005). أزمنة الحداثة الفائقة: الإصلاح، الإرهاب، الشراكة. (ط1). الدار البيضاء، المغرب: المركز الثقافي العربي.
- فريد الصغيري. (2021). الإتاحة الاتصالية للشباب حدود التواصل ووضعيات الاغتراب: المحفزات الجديدة للهجرة النفسية. تم الاسترداد من https://tanwair.com/archives/10898.
- فريدة عدة بن سليم. (2020). النسق القيمي في المجتمع الجزائري في ظل الفضاء الافتراضي: بين الصناعة الثقافية والسلطة المجتمعية. مجلة الأكاديمية للبحوث في العلوم الاجتماعية ، م2 (ع2)، الصفحات 141-163.
- فيليب ريجو. (2009). ما بعد الافتراضي: استكشاف اجتماعي للثقافة المعلوماتية (ط1). (تر:عزت عامر) القاهرة، مصر: المركز القومي للترجمة.
- محمد خالد غازي. (2010). الطوفان ما بعد العولمة: صناعة الإعلام وتحول السلطة.
- محمود محمد محمد عبد الحليم. (2019). الاغتراب عن النسق القيمي بالدراما التلفزيونية وعلاقته بالتحرر لدى المراهقين. المجلة المصرية لبحوث الإعلام ، ع69، صفحة 543.
- مسفر بن علي القحطاني. (2015). صدام القيم: قراءة ما بعد التحولات الحضارية (ط1). بيروت، لبنان: الشبكة العربية للأبحاث والنشر.
- وليدة حدادي. (2018). الفضاء السبراني وأزمة القيم الأخلاقية في المجتمعات الافتراضية-الشبكات الاجتماعية نموذجا. *مجلة الحقيقة*، م17 (ع4)، صفحة 412.

المراجع باللغة الأجنبية:

- mell, l. (2015). hors de l'ombre. *questions de communication , vol 28*, pp. 231-250.
- mendel, G. (2004). *la crise des valeurs: Construire le sens de sa vie.* Éditeur : La Découverte.